# أسباب عدم ترتب الآثار على الأفعال

## - دراسة قرآنية -


**الباحثة**

**إيناس إبراهيم فليح العنكوشي**

inasi.alankwshy@student.uokfa.edu.iq

**الأستاذ الدكتور**

**جبار محارب الفريجي**

**جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية**

jabbarm.alfraiji@uokufa.edu.iq


# Reasons for the Non-Results of Actions
## (A Qur'anic Study)


**Researcher**

**Inas Ibrahim Flayih Al-Ankoushi**

**Pr. Dr.**

**Jabbar Muharib Al-Fraiji**

**University of Kufa - College of Basic Education**

**الملخص:-**

يتناول هذا البحث مسألة قرآنية دقيقة، وهي أسباب عدم ترتب الأثر على الأفعال، على الرغم من أنَّ الأصل في الأفعال أن تثمر نتائجها، فإنَّ العلاقة بين الفعل وأثره من القوانين الراسخة في نظام الوجود، وقد جرت بها السنن الإلهية، في خلق الله جميعاً، غير أنَّ المتأمل في الواقع يلحظ أنَّ هذه العلاقة ليست دائماً على وتيرة واحدة، فقد يعمل الإنسان عملاً صالحاً ولا يرى له ثمرة، وقد يرتكب معصية ولا يظهر أثره عليه فوراً، مما يثير تساؤلاً جوهرياً: لماذا لا تترتب آثار بعض الأفعال كما هو متوقع؟ ينبع هذا التساؤل من حاجة فكرية وعقدية لفهم حكمة الله في تصريف الأقدار، ولتفسير ظواهر قد يُساء فهمها في غياب التدبر القرآني العميق، ومن هنا جاءت هذه الدراسة القرآنية التي تسعى إلى استكشاف أسباب عدم ترتب الأثر على الأفعال، من خلال تتبع النصوص من الآيات والروايات الشريفة التي بينت الأسباب، وتحليلها ضمن سياقها العام.

**الكلمات المفتاحية:** الفعل، الأثر، السنن الإلهية، العمل الصالح، العمل الغير صالح.

**Abstract:-**

This research addresses a delicate Qur'anic issue, namely the reasons for the non-recurrence of effects on actions. Although the basic principle of actions is that they produce results, the relationship between an action and its effect is one of the established laws of existence, and divine laws have been applied to all of God's creation. However, anyone who contemplates reality will notice that this relationship is not always consistent. A person may perform a righteous deed and not see its fruits, or he may commit a sin and its effects are not immediately apparent. This raises a fundamental question: Why do the effects of some actions not occur as expected? This question stems from an intellectual and ideological need to understand God's wisdom in the disposition of destiny, and to explain phenomena that may be misunderstood in the absence of deep Quranic contemplation. Hence, this Quranic study seeks to explore the reasons for the lack of an effect on actions. This study examines the texts from the verses and noble hadiths that explain the reasons, and analyzes them within their general context.

**Keywords:** action, effect, divine laws, righteous action, improper action.

**الهدف من البحث:**

بيان الأسباب التي تمنع ترتب الأثر على الأفعال في ضوء القرآن الكريم والروايات الشريفة، لتوضيح السنن الإلهية المرتبطة بالفعل البشري، وتصحيح الفهم المغلوط لنتائج الأفعال.

**أهمية البحث:**

تبرز أهمية البحث في كونه يعالج إشكالية فكرية وعقدية دقيقة، ترتبط بسؤال محوري: لماذا لا تؤثر بعض الأفعال كما يُنتظر منها؟ ويقدم تفسيراً قرآنياً ينسجم مع مقاصد الشريعة وعدل الله.

**أسباب اختيار البحث:**

الحاجة إلى توضيح هذه العلاقة لفهم السنن الإلهية بشكل أعمق. إضافة إلى الأثر التربوي والعقدي المهم لهذه المسألة في الواقع العلمي.

**مشكلة البحث:**

ما الأسباب التي تمنع ترتب الأثر على الأفعال في ضوء النص القرآني والروائي، سواء كانت الأفعال صالحة أو غير صالحة؟

**منهج البحث:**

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بالاعتماد على الاستقراء الموضوعي للنصوص القرآنية المتعلقة بالفعل والأثر، وتحليله ضمن سياقها العام والخاص.

**خطة البحث:**

- ملخص بالعربي والانكليزي.
- المطلب الأول: أسباب عدم ترتب الأثر على الأفعال الصالحة.
- المطلب الثاني: أسباب عدم ترتب الأثر على الأفعال غير الصالحة.
- خاتمة وأهم النتائج.

## توطئة:ـ

نلاحظ أنَّ بعض الناس من يعمل أعمال صالحة لَكِنا نراه في ضنك العيش، الكلام هنا للناس العاديين وليس للأنبياء والأئمة، لأنَّ ذلك بحث آخر ففي ما يحدث لهم مِن الابتلاءات لأجلِ رَفع درجاتهم وزيادة مقامِهم . فإنَّ ما يحاول البحث إثباتهُ هو جواب عن سؤال، حاصله أنَّ بعض الأفراد ممن يفعل الصالحات ولكن لا تظهر الآثار التَكوِينية عليه وبالعكس نجده مبتلي بالاحزان والامراض، ومنْ يفعل المُنْكرات يَكُونَ في سعة العيش ورفاهية ونجاحه في كل ما يروم إليه، فبِعونِ الله سوفَ يتضح جواب السؤال في هذا المبحث، ونحل الاشكال بحسب الآيات القرآنية والروايات الشريفة، فعلى هذا الأساس يقسم المبحث على مطَلَبْين:

### المطلب الأول: أسباب عدم ترتب الأثار على الأفعال الصالحة

هنالك بعض الناس ممن يعمل أعمال صالحة لكن لا تظهر عليهم آثارها، وقد أشار القرآن الكريم والروايات الشريفة إلى أسبابها، ويمكن استنتاج بعض من تلك الموانع بحسب التتبع والاستقراء:

١- الابتلاء للاختبار: تشير الآيات الكريمة إلى أنَّ بعض الابتلاءات تكون اختبار وامتحان لإيمانهم، لتمييز الصادقين منهم، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[١]، فإنَّ الله تعالى يختبر عباده بالشدائد والابتلاءات والمحن، رغم أعمالهم الصالحة، ليميز الصادقين من الكاذبين والمنافقين، ويزيد من مقامهم ودرجاتهم، فالمحن والبلاء ليس دليل على عدم قبول الأعمال الصالحة، إنَّما هو إمتحان لصبر المؤمنين ومدى قوة إيمانهم. روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّهُ قال: ((إنَّ أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل))[٢].

٢- ارتكاب الذنوب: بعض المؤمنين يصابون بالمصائب وهم أصحاب أعمال صالحة، لكن بالمقابل لديهم سيئات أيضاً، فالمصائب هي تكفير لذنوبهم فضلاً من الله عليهم لكي لا يحاسبوا عليها في الآخرة، فيستحقوا الجنة بإذن الله تعالى. فإنَّ المصائب جزء من حكمة الله في تربية عباده، وأيضاً لتكفير ذنوبهم ورفع الدرجات إذا صبر

وأحتسب، فكل بلاء اذا صبر عليه المؤمن كان سبب في تكفير ذنوبه ورفع درجاته وتقوية علاقته مع ربه، قال تعالى: ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[٤]، فتكون الذنوب سبب في عدم ظهور أثر للعمل الصالح.

٣- تأخير الثواب للآخرة: قد يكون أجر الأعمال الصالحة للمؤمنين مؤجلة إلى الآخرة، حيث هنالك يكون الجزاء الدائم، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يجعل جزاء الأعمال في الآخرة أعظم وأكبر مما قد يتوقعه الإنسان في الحياة الدنيا، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٦]، تشير الآيات إلى أنَّ جزاء الآخرة أفضل لأنَّها الدار الأبدية، فدار الدنيا زائلة لا محال. قال السيد مرتضى المطهري(ت:١٣٤٩هـ): " الدنيا دار للعمل وأحياناً يرى قسم من الجزاء فيها، أمّا الآخرة فهي دار خالصة للجزاء والحساب وليس فيها أي مجال للعمل"[٧].

٤- إختلاف مقاييس الآثار في الدنيا: قد تكون المقاييس التي يتوقع العباد ظهورها نتيجة للأعمال الصالحة، ليست مثل ما يقدرها الله بحكمته وعلمه، فقد يتوقع الإنسان في الدنيا الشهرة والأموال والغنى، لكن الله يعطيه الهدوء، الأمان، الطمأنينة، السعادة، الصحة، فإنَّ الله أعلم بمصلحة عبده وأعلم بما ينفعه، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨]، والآية القرآنية تشير إلى ذلك، قال عبد الكريم زيدان في بيان ذلك: "والواقع أنَّ الحياة الطيبة تتحقق بأشياء كثيرة، بالرضا والاطمئنان وانشراح الصدر والشعور بالسعادة وطيب العيش، وهذه كلها معانٍ تنبعث من النفس وتكون في داخل المؤمن وهي غير متوقفة على الأمور الخارجية كالمال الوفير والمكان المريح والطعام اللذيذ واللباس الفاخر الثمين وغير ذلك من الأمور المادية التي لا ننكر إنَّها تهيء ما يرتاح به الإنسان ويلتذ بها لذة بدنية غير منكورة، ولكن السعادة الحقيقية وانشراح الصدر والشعور بالغبطة والهناء هي التي تجعل الحياة طيبة وهذه المعاني

غير متوقفة على الأشياء المادية الخارجية وبالتالي لا تتوقف عليها الحياة الطيبة،... وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية، فيها الإتصال بالله والثقة به والإطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والبركة وسكن البيوت ومودة القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة وليس المال عنصراً واحداً يكفي منه القليل حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله " [٩].

٥- الاخلاص شرط لقبول الأعمال: الله سبحانه وتعالى وحده من يعلم ما في قلوب العباد، في بعض الأحيان يقوم العبد بعمل صالح مثل التصدق ومساعدة الناس، لكن يكون في قلبه رياء ولغرض جذب إعجاب ورضا الناس دون الله تعالى، فيكون عمله غير مقبول، ولا تكون له آثار حسنة، فإنَّ لم تكن الاعمال خالصة لله تعالى لا يشعر فاعلها بآثارها الحقيقية؛ لأنَّهُ فعله لغرض دنيوي مثل الرياء يحجب البركة ويقلل الآثار الإيجابية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [١٠]. قال السيد مرتضى المطهري(ت١٣٤٩هـ) في توضيح ذلك: " الإسلام يريد العمل حياً ولا يريده ميتاً لا روح فيه، ولهذا إذا أدى المسلم زكاته وخالطها شيء من الرياء فإنها غير مقبولة، وإذا زحف المسلم إلى الجهاد وخالطه شيء من إظهار الذات فإنه غير مقبولة. والقانون الإلهي يقول إن الجندي المرغم لا يفيدني وإنما أريد جندياً يختلط روح القتال مع كل ذرة من ذرات وجوده "[١١]. فإنَّ الله عادل ولا يظلم مثقال ذره، فمن كان عمله لله يحصل على أجر مضاعف، ومن كان عمله لغير الله لا يحصل على شيء. أو يكون عمله متبع بالمن والأذى، فالعمل المقرون بالمن والأذى يفقد ثوابه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾[١٢] .

فالأعمال يجب أنْ تقترن بالإيمان ليتم قبولها: "إنَّ قبول الأعمال والجزاء عليها هي من السنن الإلهية التي تتبع شروطاً تكوينية خاصّة، والشرط المهم في ذلك هو الإيمان ؛ لأنَّ العمل إذا لم ينل النور والصفاء عن طريق الإيمان والنية السليمة فهو سراب بقيعة، قال

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١٣]، فالآية تقرّر أنّ الأعمال مهما بلغت من العظمة - التي يراها الناس-إذا لم تقترن بالإيمان بالله فهي جميعاً عبث وهباء وخيال كالسراب"[١٤].

٦- عدم اليقين بالجزاء: إنَّ آثار الأعمال الصالحة قد لا تظهر على بعض المؤمنين بسبب أنّهم لا يمتلكون اليقين الكافي بوعود الله عز وجل، فمن يعمل عمل لكن لا يعتقد بالثواب لا تظهر الآثار عليه، فالمطلوب هو الثقة بالله وبالجزاء والإطمئنان بحكمته ورحمته قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١٥].

٧- الأثر التربوي للمصائب: إنَّ لهذه الحوادث آثار تربوية مهمة في حياة البشر المادية تارة، وفي إزاحة الغرور والغفلة عن الضمائر والعقول ثانياً، ولأجل هذه الفوائد صح إيجادها، والآثار التربوية هي كما بينها الشيخ جعفر السبحاني[١٦]:

أ- المصائب وسيلة لتفجير الطاقات: إنَّ البلايا والمصائب خير وسيلة لتفجير الطاقات وتقدم العلوم ورقي الحياة البشرية، فعلماء الحضارة يصرحون بأنَّ أكثر الحضارات لم تزدهر إلا في أجواء الحروب والصراعات والمنافسات حيث كان الناس يلجئون إلى إبتكار وسائل حديثة لمواجهة الأعداء، وبعبارة أوضح إذا لم يتعرض الإنسان للمشاكل في حياته، فإنَّ طاقته ستبقى جامدة هامدة لا تتفتح بل نمو تلك الطاقات وخروجها من القوة إلى الفعلية رهن وقوع الإنسان في المصائب والشدائد وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الحقيقية في قوله تعالى: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١٧].

ب - المصائب والبلايا جرس إنذار: إنَّ التمتع بالمواهب المادية والإستغراق باللذائذ والشهوات يوجب غفلة كبرى عن القيم الأخلاقية، وكلما إزداد الإنسان توغلاً في اللذائذ والنعم، ازداد ابتعاداً عن الجوانب المعنوية، وهذه حقيقية يلمسها كل إنسان في حياته وحياة غيره، فتكون البلايا والمصائب سبباً ليقظة الإنسان وتذكره له، فهي بمثابة صفع الطبيب للمريض المبنّج لإيقاضه، الذي لولا صفعته لأنقطعت حياة المريض، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ

يَضَّرَّعُونَ﴾[١٨]، فإنَّ التكامل الأخلاقي رهن المحن والمصائب.

ت - البلايا سبب للعودة إلى الحق: ولما كانت المعاصي والذنوب من أكبر الأسباب التي توجب بعد الإنسان عن الهدف الذي خلق من أجله وتعرقل مسيرة تكامله، كانت البلايا والمصائب خير وسيلة لإيقاف الإنسان العاصي على نتائج عتوه وعصيانه حتى يعود للحق ويرجع إلى الطريق الوسطى، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[١٩].

ث - البلايا سبب لمعرفة النعم وتقديرها: إنَّ بقاء الحياة على نمط واحد يوجب أنْ لا تتجلى الحياة لذيذة ومحبوبة، وهذا بخلاف ما إذا تراوحت بين المر والحلو والجميل والقبيح، فلا يمكن معرفة الصحة إلا بلمس المرض، ولا العافية إلا بنزول البلاء، ولا تدرك لذة الحلاوة إلا بتذوق المرارة، فجمال الحياة وقيمة الطبيعة ينشئآن من التنوع والإنتقال من حال إلى حال ومن وضع إلى آخر.

٨- عدم الاستغفار والإلحاح بالدعاء: إنَّ الاستغفار والدعاء المستمرين هما من الوسائل لاستمرار بركة الأعمال الصالحة وبيان نتائجها، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[٢٠]، فالاستغفار له أثر في استمرار الخير.

٩- غصب حقوق الغير: بعض العباد ممن يفعل الصالحات، ويظهر الإيمان ومساعدة الناس، ولكن بالمقابل هو يغضب والديه ولا يبرهما، ويغصب حقوق الناس، وأيضاً لا يؤدي حقوق الله كاملة، ويؤذي الناس بالقول والفعل، ففي هكذا وضع ربما لا تظهر عليه نتائج أعماله الصالحة؛ لإنشغال ذمته بحقوق الله تعالى وحقوق الناس. وربما جاء بأمواله بطريق غير مشروع كما ذكر السيد مرتضى المطهري(ت:١٣٤٩هـ) مثال لذلك: "ويذكر التأريخ أنَّ زبيدة زوجة هارون الرشيد أجرت في مكة نهراً أستفاد منه الناس منذ ذلك العصر وحتى الآن، فهذا العمل ظاهره جميل جداً ونافع أيضاً لأن زبيدة قد شقت هذا النهر في الأرض الصخرية بين الطائف ومكة وأوصلته إلى الأرض اليابسة من مكة ومنذ أثني عشر قرناً

والحجاج العطاشى يروون به عطشهم فهذا العمل من حيث الأثر الاجتماعي عظيم، ولكن ما هو اثره المعنوي؟، وما هو بعده الروحي؟، أتقيس الملائكة هذا العمل بنفس المقياس الذي نقيس به نحن؟ أيجذب ظاهر العمل أنظارهم كما هو الحال فينا؟ كلا... إن الملائكة ليقيسون بمقياس آخر. إنهم يحكمون المقياس الإلهي ليغوروا إلى أبعاد العمل الأُخروي، فيسألون من أين جاءت زبيدة بالأموال وأتمت هذا العمل الجبار؟ أنها زوجة إنسان متكبر وظالم هو هارون الرشيد الذي أحتكر بيت مال المسلمين لإنفاقه بما يأمره به هواه ورغباته، فزبيدة لم تمتلك مال حتى تنفقه في أعمال الخير، بل هي أنفقت أموال الناس... ويقال أنَّ شخصاً رأى زبيدة في المنام فسألها: بأي شيء كافأك الله على النهر الذي أجريتهِ؟ فأجابت: لقد أعطى الله سبحانه كل الثواب لأصحاب المال الحقيقيين "[٢١].

**الخلاصة:** إنَّ الأفعال الصالحة قد لا تظهر آثارها لعدة أسباب منها ما سبق، وإنَّ عدم ظهور الآثار لا يعني أنَّها بلا قيمة أو تأثير، فالأعمال الصالحة لها فوائد عظيمة غير مرئية لحكمة الله وتدبيره، المهم هو المداومة على فعل الخير بإخلاص لله تعالى دون غيره، ودون انتظار ظهور الآثار بشكل فوري، مع الثقة بأنَّ الله لا يضيع أجر من عمل صالحاً، سواء ظهرت الآثار في الدنيا، أو في الآخرة، فعليه أنْ يتحلى بالصبر والثبات والإيمان والثقة بالله، وأنَّ الخير يرد إلى صاحبة في الوقت المناسب، وأنَّ الجزاء الحقيقي يكون في الآخرة، والابتعاد عن الرياء والتظاهر بعمل الخير وهو يبطن الشر، وعدم الاستخفاف بالغير وأهانتهم بالقول والفعل، وإيفاء كل ذي حق حقه، وأفضل الاعمال ما كانت خالصة لوجه الله تعالى بغية رضاه وحده لا رضا العباد.

**المطَلَبْ الثاني: أسباب عدم ترتب الأثر على الأفعال غير الصالحة.**

**توطئة:**

إنَّ عذاب الكافرين والعاصين يحصل بلا شك في الآخرة، وإنَّما يكون التأخير لأنَّهُ لم يحن وقته الذي حدده الله سبحانه وتعالى لهم، وإنَّ الله لا يظلم أحداً فمن يعمل عملاً صالحاً وهو غير مؤمن وعاصي ولديه الكثير من الذنوب وبعض الحسنات، فإنَّهُ يعطى الحسنات التي قد فعلها في الحياة الدنيا، حتى إذا جاء يوم القيامة لم تكن له حسنة يجزى

بها، وإنَّ الله سبحانه وتعالى رحمن رحيم و رحمته شملت كل المخلوقات، أمّا من كفر فإنَه يجازي على أعماله الحسنة في الدنيا ولا شيء له في الآخرة. يشير القرآن الكريم والروايات الشريفة أنَّ الأفعال السيئة لها آثار على الفرد والمجتمع؛ لكن بعض الاحيان هذه الآثار لا تظهر فوراً لأسباب مختلفة منها ما يلي:

١- الإبتلاء والاختبار: فكما أنَّ الإبتلاء يكون بالمحن والشدائد أيضاً يكون بتأخير العذاب، فقد يؤجل الله سبحانه وتعالى عذاب الخاطئين إبتلاءً واختباراً لهم، فقد يبتليه بالسلامة والنجاح والسعة بالرزق على الرغم من إرتكابه للمعاصي والذنوب، كإختبار له وفتنة كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٢٢)، قد تتأخر الآثار كنوع من الامتحان الإلهي فيمنح العبد فتره من الاستقرار أو الرخاء رغم ذنوبه ليرى ما إذا كان سيعود إلى الله والطريق الصحيح أم لا فيختبره بالنعم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾(٢٣)، فيعطي الله بعض متاع الدنيا للكافرين كاختبار لهم ولعباده المؤمنين. ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، فإنَّ الله يرزق العبد ويُعطيه ملذّات الدُّنيا، فيصبح هذا العبد بين خيارين أمّا أنَّ يبطش فيطغى أو يشكر فيتواضع فيكون هذا هو الإبتلاء اختباراً، إمّا ينجح فيه العبد فيستحق الثواب من الله، أو يفشل ويقع في الذنوب والمعاصي.

٢- عمل الصالحات بعد السيئات: قد يتجاوز الله سبحانه وتعالى عن بعض الأفعال السيئة بسبب القيام بالأعمال الصالحة والتوبة ربما قد تمحي الآثار السيئة كما جاءت في الروايات الشريفة منها قول الرسول محمد ﷺ: ((أتق الله حيثما كنت، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئة فأعمل حسنة تمحوها))(٢٤)، هذا يدل على أنَّ الحسنة بعد السيئة تمحو السيئة بأذن الله.

وحديث آخر روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنَّهُ قال: ((ما أحسن الحسنات بعد السيئات، وما أقبح السيئات بعد الحسنات))(٢٥). فالأعمال الصالحة قد تمحوا آثر الأفعال السيئة مما يؤدي إلى منع ظهور النتائج السلبية في الدنيا.

٣- تأخير العقوبة للآخرة: إنَّ الله سبحانه وتعالى عادل في جميع أحكامه، قد يؤخر ظهور أثر الأفعال السيئة لتكون المحاسبة في الآخرة أعدل وأدق وأكثر إكتمالاً، وليس شرطاً أنْ يعاقب العبد على أفعاله في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...﴾[٢٧]، هذا يعني أنَّ العصاة قد يؤخر عذابهم إلى الآخرة فعذاب الآخرة أشد وأقوى، وعذاب الدنيا زائل وفاني.

٤- الحكمة والرحمة الألهية: قد يكون تأخير العذاب لحكمة إلهية لا نعلمها لكن الإله بعلمه وحكمته وتدبيره يعلم ما يفعل، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٢٨]، فإنَّ الله عز وجل أعلم بما يصلح به عباده، ربما يرى أنَّ الحكمة توجب عدم إنزال العقاب الفوري على الكافرين، فقراراته قائمة على التدبير الإلهي والحكمة، فيكون ربما لإعطاء العبد فرصة للتوبة والرجوع إليه وعدم تعجيل العذاب، أو لاختبار صبر المؤمنين ويقينهم بالله لما يرون ما عليه المذنبين من السعة وأيضاً رحمة بالعبد والرغبة في إصلاحه، وستر الله على عباده لحكمةً منه ورحمة، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾[٢٩].

٥- الجهل والنية: ربما قد يرتكب الشخص ذنباً بجهالة وعدم المعرفة، ففي هذه الحالة حسابه يختلف، ليس مثل القاصد للفعل العالم به، كلاً يحاسب على قدر معرفته وعلمه، فإذا كان الفعل السيء ناتج عن خطأ أو سوء تدبير، والفاعل غير قاصد للإساءة للآخرين، فعدم قصد الأذية ممكن أنْ يكون سبب في منع الآثار.

٦- الاستغفار والتوبة: إنَّ الاستغفار له دور أساسي في حياة المؤمن، فمن عمل سيئة ولحقها بالاستغفار والتوبة الحقيقية والنية الخالصة والعزم بعدم العودة لذلك العمل، فإنَّ الله غفور رحيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣٠]، الاستغفار والتوبة يطهران الإنسان من الذنوب، ويعفيانهُ من آثارها السلبية، سواء في الدنيا أم الآخرة كقول الرسول ﷺ: ((التائب حبيب الله، والتائب من الذنب

كمن لا ذنب له)) [٣١]، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّهُ قال: ((إذا تاب العبد توبة نصوحا، أحبه الله فستر عليه))[٣٢]، فالتوبة والاستغفار لهما أثرهما في عدم ظهور آثار الذنب.

٧- الاستدراج[٣٣]: إنَّ تأخير العذاب للعاصين والمذنبين هو نوع من الاستدراج لهم، فالاستدراج يظهر جانباً من حكمة الله، فلا ينبغي أنْ يغتر الإنسان بالنعم التي يحصل عليها ورغم استمراره في المعصية، فهو نوع من الاستدراج وينبغي للعبد أنْ ينتبه إلى ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٣٤]. إنَّ أبوابُ الدّنيا إذا فُتحَت على العَبد، ربما تكون استدراج إذا كان من أهل المعاصي، وذلك في قَول الله عزّ وجَلّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[٣٥]، أي القَوم الذينَ نسَوا دينهم، يفتح الله عليهم أبواب الدنُيا ومَلذّاتُها ليتركهم يَفعَلوا ما يَشاؤون فَلما فَسقوا وأكثَروا مِنْ الفَساد، يُنزِل الله عَليهم العَذابَ بِذنوبهم فَجأة ودون سابق إنذار، وهؤلاء هُم الأشرار مِنْ النّاس، وهُم الذين إبتعدوا عَن دينِ الله سُبحانَهُ وتَعالى، فأتاهم الله خير الدنيا فظنوا أنهم على حق، لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٧]، " ومعنى الآية أنَّ الله يستدرج الكفرة والعصاة بأنْ يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة إلى ازدياد الكفر والمعاصي وهم لا يعلمون أي وهم لا يشعرون أنَّ هذا استدراج لهم، بل يعتقدون أنَّ ذلك من الله كرامة لهم مع أنَّهُ في نفس الأمر إهانة لهم واستدراج " [٣٨].

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّهُ قال:((إنَّ الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد بعبد شراً فأذنب ذنباً إتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار، ويتمادى بها، وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي)) [٣٩]، فتأخير العذاب بدون الاستغفار والتوبة، لا يعني غفران الذنوب ولا يعني أنَّ الله راضٍ عنه

بل قد يكون علامة الامهال والاستدراج.

٨- الأجر الدنيوي: تشير الآيات القرآنية أنَّ بعض الناس يعطون أجورهم في الحياة الدنيا كامله وفي الآخرة لا يبقى لهم شيء، وهذا هو الذي تَكلمَ الله عَنهُ في العَديد مِنْ الآيات، مَنْ كان يُريد أجر أعماله نُعطيه في الحَياةِ الدُنّيا، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[٤٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[٤١]، " ويريد بالعاجلة هنا الدنيا، يعني إذا كان مستوى فكر الشخص لا يرتفع عن الدنيا ولا يمتلك هدفاً أعلى من الأهداف الدنيوية فإنَّه من المستحيل أنْ ينال الأهداف العليا الأخروية. ولكن لطفنا وكرمنا الإلهيين يوجبان علينا تمكينه من الاستفادة من تلك الأهداف الدنيوية التي قصد إليها"[٤٢]. وقوله تعالى يثبت ذلك: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[٤٣]، فإنَّ كان من أصحاب السيئات والمعاصي فإنَّهُ يجازى على حسناته في الدنيا وفي الآخرة ماله غير العقاب على المعاصي والذنوب، إنَّ المؤمنين يؤجرون في الدنيا والآخرة أمّا الكافرون فيعجل لهم الخير في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق[٤٤].

٩- الشفاعة: قد يرتكب شخصاً ذنباً يستحق العذاب، فيشفع له غيره، فإنَّ مبدأ الشفاعة موجود في الإسلام، فالأنبياء، والأئمة، والأولياء الصالحين لهم حق الشفاعة، وهذا مرتبط بالآخرة، فيشفعوا لهم ذنوبهم ويدخلوا الجنة فضلاً من الله ورحمة منه، أمّا في الدنيا فقد يستغفر له غيره ويدعوا له فيدفع عنه بلاء أعماله مثل دعاء الوالدين والصالحين، كما في حالة الأبناء عند دعاء آبائهم لهم.

الخلاصة: أنّ ترتب الأثر على العمل السيء يتأثر بعدة عوامل منها ما يتعلق بالنية والجهل والتوبة وحكمة الله عز وجل، فإنَّ الله غفور رحيم حيث يوفر فرصة للمؤمنين للتوبة والاستغفار، ويؤكدوا على النية الحسنة والأعمال الصالحة في تغيير أثر الأفعال السيئة، فالتوبة التامة بشروطها والنية الحسنة والفعل الجاد نحو الإصلاح من الممكن قد تمنع

ظهور الآثار السيئة، ويعفو عنهم ويغفر لهم، وهذا يشجع المذنبين إلى التقرب من الله عز وجل والابتعاد عن عصيانه، كون باب المغفرة والتوبة مفتوح لهم دائماً، وإعطائهم فرصةً جديدةً كل وقت لتصحيح أعمالهم، والتخلص من نتائجها السيئة هذا للمؤمنين.

أمّا الكافرين والمشركين والمنافقين فقد لا تظهر نتائج أفعالهم بشكل فوري هو موضوع يتطلب فهم لحكمة تعالى وتدبيره كما ورد في الآيات القرآنية منها الابتلاء، الامهال والاستدراج، أو يؤخر جزائهم للآخرة، وإستدراجهم بالنعم والخير، فحكمته في عدم إنزال العذاب عليهم لا يستطيع الإنسان إدراكها، وأنَّ لكل عمل صالح جزاء، والكافرين قد يعملون بعض الأعمال الحسنة فيحصلون على أجرها في الدنيا فقط.

## الخاتمة:

بعد هذا العرض القرآني التحليلي لمسألة عدم ترتب الأثر على الأفعال، يمكن الوصول إلى جملة من النتائج التي تؤكد أن العلاقة بين الفعل والأثر ليست آلية مطلقة، بل تحكمها جملة من الشروط والضوابط التي تجعل من تحقق الأثر رهيناً بتمام تلك الشروط وانتفاء الموانع، فقد تبين أن الأفعال الصالحة قد لا تثمر أثرها بسبب فقدان النية الصادقة، أو مخالفة السنن الشرعية، أو ارتكاب مبطل يبطل أثر العمل، كما ظهر أن الأفعال غير الصالحة قد لا تترتب عليها أثر سلبي، أما بسبب توبة صادقة تمحو الذنب، أو وجود مانع شرعي كالإكراه أو الجهل، أو بسبب عفو إلهي محض. وهذا كله يدل على دقة السنن الإلهية في التعامل مع أفعال الإنسان، وعلى ضرورة فهم النص القرآني ضمن سياقه الكلي الذي يوازن بين العدل والرحمة، وبين السبب والمسبب، وبين الفعل والأثر، ويوصي البحث بمزيد من الدراسات القرآنية التي تستقصي الظواهر السلوكية في ضوء القوانين الإلهية، لما لذلك من أثر في تصحيح التصورات العقدية والسلوكية لدى المسلم المعاصر.

### هوامش البحث

(١) سُورَةُ العنكبوت: الآيات: ٢-٣.

(٢) الكليني، الكافي،٢/٢٥٢، باب شدة ابتلاء المؤمن، ح ٤.

(٣) سُورَةُ البقرة: الآية: ١٥٥.

(٤) سُورَةُ النساء: الآية: ٧٩.

(٥) سُورَةُ السجدة: الآيتان: ١٧ -١٨.
(٦) سُورَةُ الأنعام: الآية: ٣٢.
(٧) مرتضى المطهري، العدل الإلهي، ٢٦٠.
(٨) سُورَةُ النحل: الآية: ٩٧.
(٩) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ٢٣٠.
(١٠) سُورَةُ البقره: الآية: ٢٦٤.
(١١) مرتضى المطهري، العدل الإلهي، ٣٤٣.
(١٢) سُورَةُ البقرة: الآية: ٢٦٤.
(١) سُورَةُ النور: الآية: ٣٩.
(١٤) صادق محمد رضا الساعدي، الأمامة الإلهية، ٢-٣ / ١٢٧.
(١٥) سُورَةُ الحجرات: الآية: ١٥.
(١٦) ظ. جعفر السبحاني، الإلهيات، ٢٨١-٢٨٥.
(١٧) سُورَةُ النساء: الآية: ١٩.
(١٨) سُورَةُ الأعراف: الآية: ٩٤.
(١٩) سُورَةُ الروم: الآية: ٤١.
(٢٠) سُورَةُ نوح: الآيات: ١٠-١١-١٢.
(٢١) مرتضى المطهري، العدل الألهي، ٣٤٧-٣٤٨.
(٢٢) سُورَةُ الأنبياء: الآية: ٣٥.
(٢٣) سُورَةُ الزخرف: الآية: ٣٣.
(٢٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة،١٠٤/١٦، با/ ٩٨ باب وجوب عمل الحسنة بعد السيئة،ح٥.
(٢٥) المصدر نفسه، ح٤.
(٢٦) سُورَةُ طه: الآية: ١٢٧.
(٢٧) سُورَةُ فاطر: الآية: ٤٥.
(٢٨) سُورَةُ الأنبياء: الآية: ٢٣.
(٢٩) سُورَةُ الكهف: آية ٥٨.
(٣٠) سُورَةُ البقرة: الآية: ٢٢٢.
(٣١) النراقي، جامع السعادات،٥١/٣، فصل فضيلة التوبة.
(٣٢) المصدر نفسه.
(٣٣) الإستدراج: أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى أقصى عمره للابتدال بالبلاء والعذاب، وقيل: الإهانة بالنظر إلى المآل./ الجرجاني، التعريفات، ٢٠.

(٣٤) سُورَةُ آل عمران: آية ١٧٨.
(٣٥) سُورَةُ الأنعام: الآية: ٤٤.
(٣٦) سُورَةُ الكهف: الآيات: ١٠٣، ١٠٤.
(٣٧) سُورَةُ الاعراف: الآية: ١٨٢.
(٣٨) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ٢٣٢
(٣٩) الكليني، الكافي،٤٥٢/٢، باب الاستدراج، ح ١.
(٤٠) سُورَةُ هود: الآية: ١٥.
(٤١) سُورَةُ الإسراء: الآيات: ١٨- ١٩.
(٤٢) مرتضى المطهري، العدل الإلهي، ٣٥١.
(٤٣) سُورَةُ الشورى: الآية: ٢٠.
(٤٤) عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، ٢٢٢.

## قائمة المصادر والمراجع


١- جعفر السبحاني. الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، بقلم حسن مكي العاملي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط٢، تصوير من طبعة الدار الإسلامية- بيروت، م: مكتب الأعلام الإسلامي، ١٣٠٩هـ.

٢- صادق محمد رضا الساعدي، الإمامة الإلهية (بحوث محمد السند لبحر العلوم)، تح: تقرير بحث محمد السند لصادق محمد رضا الساعدي، ط١، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م.

٣- عبد الكريم زيدان (ت:١٤٣٥هـ). السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ).التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة مِنْ العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥- محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي(ت:١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة، تح ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ، م: مهر- قم .

٦- محمد بن يعقوب بن أسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ).الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، ط٥، ١٣٦٣هـ. / دار الكتب الإسلامية- طهران، ط٤،١٣٦٥هـ، م: حيدري.

٧- محمد مهدي بن ابي ذر النراقي (ت:١٢٠٩هـ).جامع السعادات، تح: محمد كلانتر / تقديم: محمد رضا المظفر، الطباعة والنشر: م: النعمان - النجف الأشرف، ط٤.

٨- مرتضى المطهري (ت:١٣٤٩هـ). العدل الإلهي، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - ايران، ط٣، ١٤٠٥هـ، قم ايران مطبعتنا.